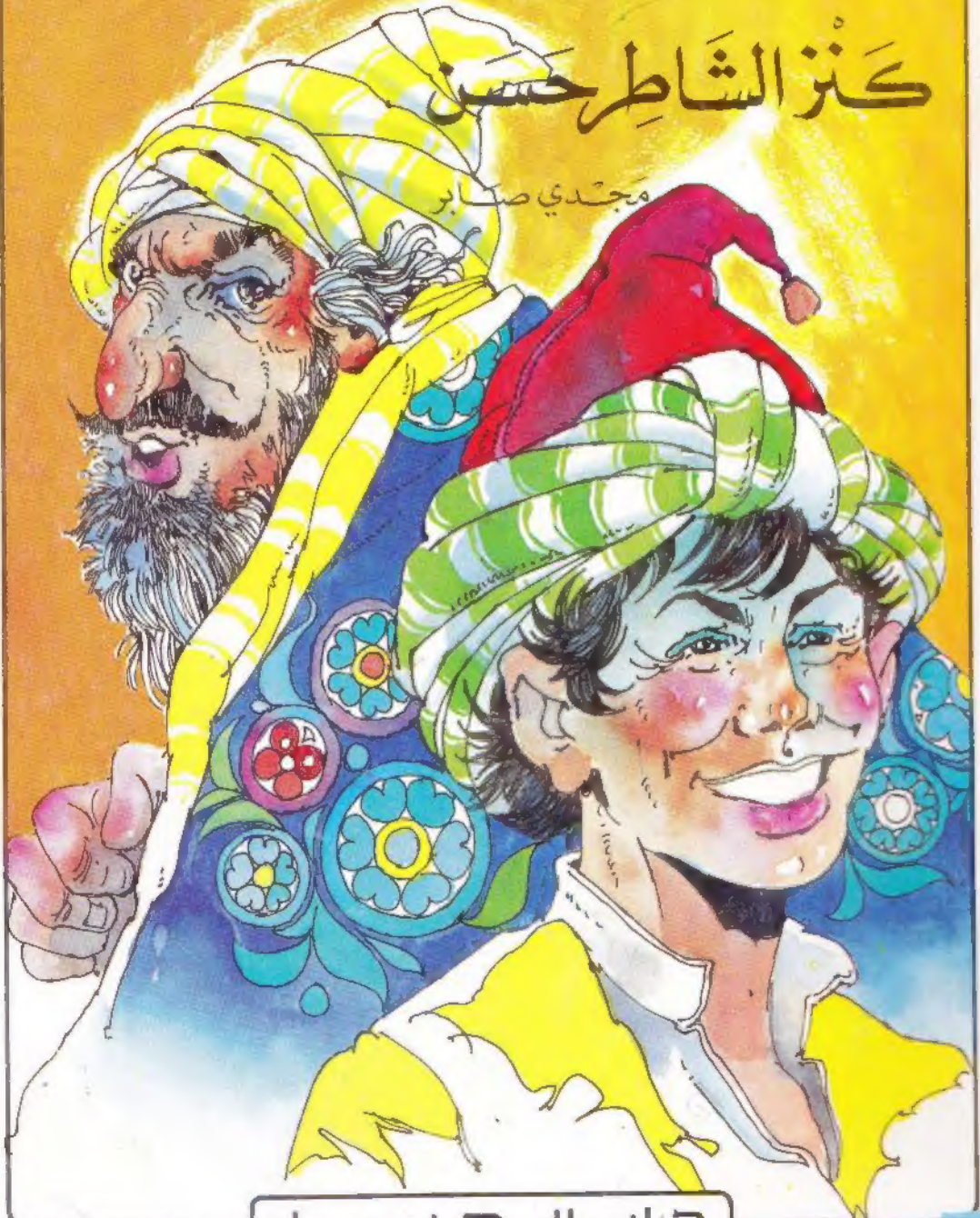


كنز الشاطر حسن

مجدي صابر



مكتبة الطفل العربي

١٩

3418 -



1284 -

كنز الشاطر حسن

تأليف
مجددي صابر

دار الحديث

بيروت - القاهرة - تونس

مكتبة جامعة القاهرة
شعبة المخطوطات والكتب النادرة

(H)

١٢٩١

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

تأليف : مجدي صابر

هي مجموعة جديدة وشيقة من قصص الأطفال ، كُتبت بأسلوب أدبي ممتاز ، يمتزج فيها الخيال مع الواقع . . والحلم مع الحقيقة ، لتصنع عالماً أخذاً مُبهراً ، يناسب عقل وبن قارئها الصغير ، ويفتح أمام عينه أبواباً لا حصر لها من المعرفة والقيم التربوية والأخلاق النبيلة .

ونحن نفخر بأن تؤدي هذه المجموعة القصصية المكتوبة والمختارة بعناية بالغة ، الغرض منها تماماً ، وتحاول أن تسد بعض النقص في مكتبة الطفل العربي ، دون أن تستهين بعقله ، أو تتخطى قيمه وعاداته .

ونأمل أن نكون قد حققنا الهدف الذي نرجوه من إصدارنا لهذه المكتبة ، وأن تحتل قصصها مكانها اللائق في مكتبة كل طفل عربي .

كَز الشاطِر حَسَن

فِي إِحْدَى الْقُرَى، الْوَاقِعَةِ خَلْفَ النَّهْرِ، عَاشَ صَبِيٌّ يَتِيمٌ
أَسَمُهُ «حَسَن»، كَانَ عُمُرُهُ إِثْنِي عَشَرَ عَامًا.

وَكَانَ وَالِدَا «حَسَن» قَدْ تُوْفِيَا مِنْذُ سَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ، عِنْدَمَا
خَرَجَا لِلصَّيْدِ ذَاتَ يَوْمٍ فِي قَارِبِهِمَا الصَّغِيرِ دَاخِلَ النَّهْرِ. فَهَبَّتْ
عَاصِفَةٌ عَاتِيَةٌ اقْتَلَعَتِ الْأَشْجَارَ وَدَمَّرَتِ الْمَنَازِلَ، وَأَغْرَقَتِ الْقَارِبَ
الصَّغِيرَ بِرَاكِبِيهِ.

وَصَارَ «حَسَن» يَتِيمًا مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ. لَا مَوْرِدَ لَهُ لِلرِّزْقِ،
وَلَا أَقَارِبَ. فَعَطَفَ عَلَيْهِ سُكَّانُ قَرْيَتِهِ وَجِيرَانِهِ، وَصَارُوا يَأْتُونَهُ
بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْمَلَابِسِ، وَيَهْتَمُّونَ بِكُلِّ شُؤْنِهِ، وَيَقُولُونَ
لَهُ فِي طَبِيعَةٍ: «نَحْنُ أَبَوَيْكَ يَا حَسَن.. وَأَنْتَ مِثْلُ آبِنَا.. وَمِنْ
وَاجِبِنَا رِعَايَتِكَ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ لَكَ غَيْرَنَا».

فَكَانَتْ عَيْنَا «حَسَن» تَمْتَلِئَانِ بِالدُّمُوعِ شُكْرًا لِأَهْلِ قَرْيَتِهِ
الطَّيِّبِينَ، الَّذِينَ كَانُوا بِرَغْمِ فَقْرِهِمْ لَا يَضُنُّونَ عَلَيْهِ بِطَعَامٍ أَوْ
شَرَابٍ.

وَعِنْدَمَا كَبُرَ «حَسَن» وَأَشْتَدَّ سَاعِدُهُ وَبَلَغَ الْعَاشِرَةَ مِنْ
عُمُرِهِ، قَالَ لِسُكَّانِ قَرْيَتِهِ: «الآن صِرْتُ أَسْتَطِيعُ الْإِعْتِمَادَ عَلَى
نَفْسِي، وَمُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ سَأَعْمَلُ لِإِنْفِقَ عَلَى طَعَامِي
وَمَلَابِسِي». وَبِالْفِعْلِ، وَفِي كُلِّ صَبَاحٍ كَانَ «حَسَن» يُغَادِرُ
مَسْكَنَهُ لِيَذْهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْقَرِيبَةِ، فَيَعْمَلُ فِي حَوَانِيَّتِهَا، حَدَّادًا
أَوْ خَبَّازًا أَوْ صَانِعَ سِلَالٍ. ثُمَّ تَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ وَأَجَادَهُمَا،
فَصَارَ يُمَسِّكُ بِحَسَابَاتِ هَذِهِ الْحَوَانِيَّتِ وَيَضْبِطُهَا فِي مَهَارَةٍ تُغْنِيهِ
عَنِ الْعَمَلِ الشَّاقِّ. وَأَذْرَكَ «حَسَن» مَا لِلْعِلْمِ مِنْ فَوَائِدَ،
وَلِلْمَعْرِفَةِ مِنْ مُمَيِّزَاتٍ، فَالتَّحَقَّ بِمَدْرَسَةٍ لَيْلِيَّةٍ فِي الْمَدِينَةِ، صَارَ
يَتَلَقَّى فِيهَا كُلَّ الْعُلُومِ، فَيَعْمَلُ صَبَاحًا وَيَذْرُسُ مَسَاءً، حَتَّى
تَعْجَبَ النَّاسُ مِنْ عَزِيمَتِهِ وَإِصْرَارِهِ وَأَسْمُوهُ «الشَّاطِرُ حَسَن».

وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ لَمْ يَتَخَلَّ «حَسَن» عَنْ سُكَّانِ قَرْيَتِهِ
الطَّيِّبِينَ، الَّذِينَ عَامَلُوهُ كَأَنَّهُ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَوْ أَشِقَائِهِمْ. فَصَارَ «حَسَن»

يُسَاعِدُهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ إِذَا مَا أَحْتَاجُوا إِلَيْهِ، أَوْ يَخْطُ رَسَائِلَ لَهُمْ
يَبْعَثُونَ بِهَا إِلَى أَوْلَادِهِمُ الْمُسَافِرِينَ. . أَوْ يَقْرَأُ لَهُمُ الرِّسَالِ
الْقَادِمَةَ مِنْهُمْ.

وَعِنْدَمَا مَاتَ وَالِدَا «حَسَنَ»، لَمْ يَتْرُكَ لَهُ مَالًا وَلَا إِرْثًا،
سِوَى مَنْزِلٍ قَدِيمٍ شَبِهَ مُتَهَدِّمٍ، كَانَا قَدْ شِيدَاهُ مُنْذُ وَقْتٍ بَعِيدٍ،
بِالْطُّوبِ النَّيِّءِ وَعُرُوقِ الْخَشَبِ. وَمَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ، وَسُقُوطِ
الْمَطَرِ شِتَاءً، وَاشْتِدَادِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ صَيْفًا، تَشَقَّقَتْ بَعْضُ
جُدْرَانِ الْمَنْزِلِ، وَتَخَلَّخَتْ أَعْمِدَتُهُ وَأَسَاسَاتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ
«لِحَسَنَ»: «يَجِبُ أَنْ تَبْحَثَ لَكَ عَنْ مَسْكَنِ آخَرَ تَعِيشَ فِيهِ».

فَأَجَابَهُمْ: «إِنَّ هَذَا الْمَنْزِلَ هُوَ الذِّكْرَى الْبَاقِيَةُ لِي مِنْ أَبِي
وَأُمِّي، وَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ مَدَى حُبِّهِمَا لَهُ، وَقَدْ أَوْصِيَانِي
بِالْإِحْتِفَازِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ، وَلَأَجَلَ ذَلِكَ فَمِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ أَفْرِطَ
فِيهِ بِالْبَيْعِ أَوْ الْهَدْمِ، فَالْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ لَا يَبِيعُ مَنْزِلَهُ الَّذِي
يُحِبُّهُ».

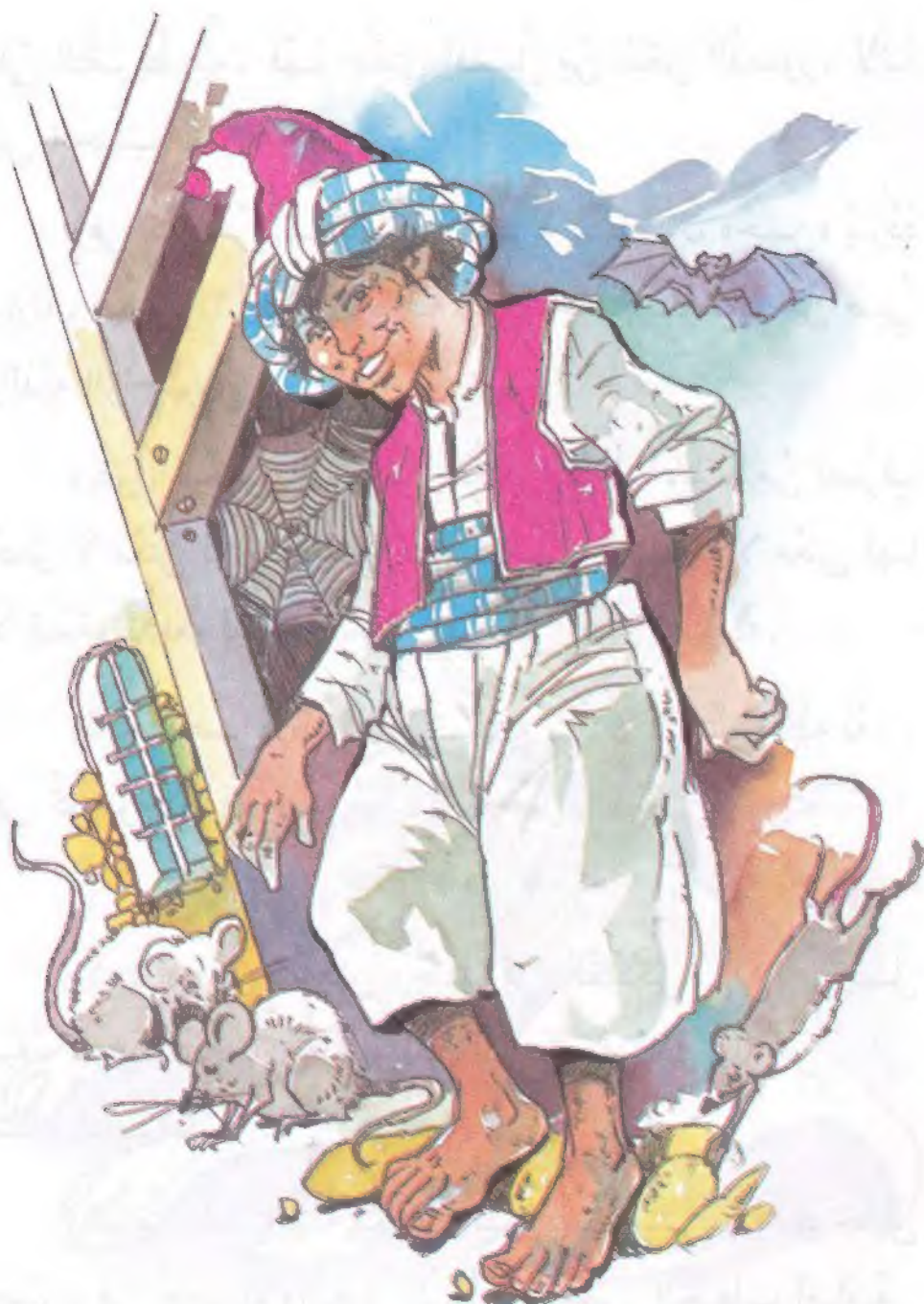
فَقَالَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ الطَّيِّبُونَ «لِحَسَنَ»: «وَلَكِنَّهُ قَدْ يَتَهَدَّمُ يَوْمًا
فَوْقَ رَأْسِكَ.»

فَأَجَابَهُمْ «حَسَن» : «وَلِهَذَا سَوْفَ أَقُومُ بِإِصْلَاحِهِ وَتَرْمِيمِهِ» .

وَقَامَ «حَسَن» بِتَرْمِيمِ مَسْكَنِهِ فَعَالَجَ تَشَقُّقَاتِ جُذْرَانِهِ وَأَصْلَحَ أَعْمِدَتَهُ الْمُهْتَزَّةَ، وَسَدَّ الثُّقُوبَ الْكَثِيرَةَ الْمُتَشِيرَةَ فِي سَقْفِهِ، وَالَّتِي كَانَتْ تَتَسَبَّبُ فِي إَغْرَاقِ الْمَنْزِلِ إِذَا هَطَلَ الْمَطَرُ. وَلَكِنْ بِرَغْمِ مَا قَامَ بِهِ «حَسَن» لِإِصْلَاحِ مَسْكَنِهِ، فَقَدْ ظَلَّ مَنْزِلُهُ قَدِيمًا لَا يُغْنِي أَحَدًا بِالْبَقَاءِ أَوْ الْعَيْشِ فِيهِ. فَجُذْرَانُهُ مِنَ الدَّاخِلِ كَالِحَةٌ سَوْدَاءُ، وَحُجْرَاتُهُ مُعْتَمَةٌ وَنَوَافِذُهُ مُتَهَالِكَةٌ، وَالْفِئْرَانُ تَعَبَتْ بِدَاخِلِهِ، وَقَدْ صَنَعَتْ لَهَا أَنْفَاقًا فِي أَرْضِيَّتِهَا. وَفَشِلَتْ كُلُّ مُحَاوَلَاتِ «حَسَن» فِي طَرْدِهَا أَوْ صَيْدِهَا. كَمَا جَعَلَتْ بَعْضُ الْخَفَافِيشِ مِنْ أَسْفَفِ حُجْرَاتِ الْمَنْزِلِ مَأْوَى لَهَا. وَلَمْ تَفْلِحْ أَيُّ حِيلَةٍ فِي إِجْلَائِهَا عَنِ الْمَكَانِ.

وَكَانَ مَنَظَرُ الْمَسْكَنِ فِي اللَّيْلِ مُخِيفًا، وَيَبْدُو فِي الظَّلَامِ كَأَنَّمَا تَسْكُنُهُ الْأَشْبَاحُ أَوْ السَّاحِرَاتُ الشَّرِيرَاتُ.

وَلَكِنْ «حَسَن» كَانَ يَقُولُ دَائِمًا: «فِي هَذَا الْمَسْكَنِ عَاشَ أَبِي وَأُمِّي، فَهُوَ الذِّكْرَى الْبَاقِيَةُ مِنْهُمَا، وَلِهَذَا فَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ



عَلَيَّ التَّفْرِيطُ فِيهِ، فَهُوَ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ سَكَنِ الْقُصُورِ، لِأَنَّهُ
بَيْتِي الْحَبِيبُ».

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ سُكَّانُ الْقَرْيَةِ يَسْمَعُونَ «حَسَنَ» يُرَدُّ
عِبَارَتُهُ، فَيَقُولُونَ أَيْضاً: «يَا لَهُ مِنْ وَفَاءٍ عَجِيبٍ نَادِرٍ مِنْ صَبِيٍّ
لِوَالِدَيْهِ الرَّاحِلَيْنِ».

وَيَقُولُ الْبَعْضُ الْآخَرُ مِنْ سُكَّانِ الْقَرْيَةِ: «يَا لَهُ مِنْ تَصَرُّفٍ
أَحْمَقَ لَا مَعْنَى لَهُ مِنْ ذَلِكَ الصَّبِيِّ، لِيَذْكُرَ بِاهْتَةٍ لَا مَعْنَى لَهَا
وَلَا قِيمَةَ، تَدْفَعُهُ لِلْبَقَاءِ وَالْعَيْشِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَنْزِلِ».

وَلَكِنْ «حَسَنَ» ظَلَّ عَلَى تَمَسُّكِهِ بِمَنْزِلِ وَالِدَيْهِ وَحُبِّهِ لَهُ..
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْذُلُ جَهْدًا عَظِيمًا لِتَجْمِيلِ الْمَسْكَنِ وَتَقْوِيَتِهِ.

* * *

وَكَانَ «حَسَنَ» يَعْيشُ وَحِيداً فِي الْمَسْكَنِ، إِلَى أَنْ حُلَّ
ضَيْفٌ جَدِيدٌ كَسَاكِنِ آخَرَ لِلْمَسْكَنِ مَعَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي
الشَّتَاءِ الطَّوِيلَةِ.

وَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ مُمَطَّرَةً شَدِيدَةً الْبَرْدِ، وَقَدْ جَلَسَ
«حَسَنَ» فِي حُجْرَتِهِ وَأَشْعَلَ النَّارَ فِي بَعْضِ الْحَطَبِ أَمَامَهُ،



وَرَا حَ يَتَدَفَّأُ بِنَارِهِ . وَصَوْتُ الْمَطَرِ فِي الْخَارِجِ يَشْتَدُّ وَيَعْلُو ، كَأَنَّهُ
دَقَّاتُ رَتِيْبَةٍ تَنْقُرُ جُدْرَانَ الْمَنْزِلِ دُونَ كُلِّ .

وَسَمِعَ «حَسَنَ» صَوْتًا ضَعِيْلًا بِالْخَارِجِ ، كَأَنَّمَا هُوَ لِشَخْصٍ
يَحْتَكُ بِالْبَابِ وَيُحَاوِلُ فَتْحَهُ .

فَقَالَ لِنَفْسِهِ : «لَعَلَّهُ عَابِرُ سَبِيْلٍ فَاجَأَهُ الْمَطَرُ ، وَرُبَّمَا كَانَ
طِفْلًا أَوْ رَجُلًا عَجُوزًا يَكَادُ الْمَطَرُ أَنْ يُهْلِكَهُ ، فَلَا تُسْرِعْ بِفَتْحِ بَابِي
لَهُ ، لِيَحِلَّ ضَيْفًا عَلَيَّ إِلَى أَنْ يَتَوَقَّفَ هُطُولُ الْمَطَرِ» .

وَفَتَحَ «حَسَنَ» الْبَابَ . . وَفُوجِيَ بِالضَّيْفِ الْوَاقِفِ أَمَامَهُ
يَرْتَجِفُ مِنَ الْبَرْدِ وَالْجُوعِ .

لَمْ يَكُنِ الضَّيْفُ طِفْلًا وَلَا رَجُلًا عَجُوزًا . . وَلَا كَانَ أَيُّ
عَابِرِ سَبِيْلٍ آخَرَ . كَانَ الضَّيْفُ كَلْبًا صَغِيرَ الْحَجْمِ لَهُ أُذُنَانِ
كَبِيرَتَانِ وَذَيْلٌ قَصِيرٌ ، وَقَدْ رَا حَ يَنْبَحُ فِي خُفْوَةٍ وَتَوَسَّلَ كَأَنَّهُ
يَرْجُو «حَسَنَ» أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِالْدُّخُولِ ، وَقَدْ غَرِقَ بِمِيَاهِ الْأَمْطَارِ
وَرَا حَ بَدَنُهُ يَرْتَجِفُ فِي شِدَّةٍ .

قَالَ «حَسَنَ» فِي إِشْفَاقٍ : «يَا لَهُ مِنْ حَيَوَانٍ مُسْكِينٍ . . مِنْ
الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ كَلْبٌ ضَالٌّ لَا مَأْوَى لَهُ وَلَا صَاحِبٌ» .

وَأَشَارَ إِلَى الْكَلْبِ بِالدُّخُولِ قَائِلًا: «هَيَّا أَيُّهَا الْكَلْبُ إِلَى
الدَّاخِلِ بِسُرْعَةٍ».

وَكَأَنَّمَا فَهِمَ الْكَلْبُ إِشَارَةَ «حَسَن» وَكَلَامَهُ، فَأَتَدَفَعَ إِلَى
الدَّاخِلِ صَوْبَ الْحَطَبِ الْمُشْتَعِلِ وَهُوَ يَهْزُ ذَيْلُهُ سُرُورًا، وَيَنْفُضُ
الْمَاءَ عَنْ بَدَنِهِ. ثُمَّ تَمَدَّدَ أَمَامَ النَّيْرَانِ وَهُوَ يَنْبُحُ فِي خُفْوٍ تَجَاهَ
«حَسَن»، كَأَنَّهُ يَشْكُرُهُ.

وَعِنْدَمَا جَفَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ بَدَنِ الْكَلْبِ، بَدَأَ نَظِيفًا مَرِحًا
وَشَعْرُهُ الْبَنِيُّ يَلُونِ الْعَسَلِ يَلْمَعُ أَمَامَ لَهَبِ النَّيْرَانِ.

وَأَحْضَرَ «حَسَن» مَا تَبَقَّى مِنْ عَشَائِهِ وَوَضَعَهُ أَمَامَ الْكَلْبِ،
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَلْتَهُمُهُ وَعَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ فِي سُرُورٍ وَاضِحٍ، فَقَالَ
«حَسَن»: «إِنَّ السُّرُورَ الْبَادِيَّ عَلَى هَذَا الْكَلْبِ لَا حَدَّ لَهُ، وَلِذَا
سَأَسْمِيهِ مَسْرُورًا».

وَرَبَتْ فَوْقَ الْكَلْبِ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: «إِنَّكَ بِلَا مَأْوَى وَلَا
صَاحِبٍ.. فَمَا رَأَيْكَ أَنْ تُصْبِحَ أُنَيْسِي وَصَدِيقِي مُنْذُ هَذِهِ
اللَّحْظَةِ؟»



فَنَبَحَ الْكَلْبُ يُعْلِنُ مُوَافَقَتَهُ، وَأَقْبَلَ إِلَى صَاحِبِهِ الْجَدِيدِ
يَتَقَاوَرُ حَوْلَهُ فِي سَعَادَةٍ وَمَرَحٍ، وَقَدْ تَوَثَّقَتْ صَدَاقَةُ حَمِيمَةٍ أَلِيفَةٍ
بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ.

وَمِنْ بَعْدِهَا صَارَ النَّاسُ لَا يُشَاهِدُونَ «حَسَنَ» وَمَسْرُورَ إِلَّا
مَعًا. . فَيَذْهَبَانِ إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي يَعْمَلُ فِيهَا «حَسَنُ»، ثُمَّ يَعُودَانِ
مَعًا لِمَزَارَةِ سُكَّانِ الْقَرْيَةِ وَمُسَاعَدَتِهِمْ. . وَفِي اللَّيْلِ كَانَ مَسْرُورُ
يَرْقُدُ دَاخِلَ الْمَنْزِلِ وَأُذُنَاهُ مَفْتُوحَتَانِ عَنْ آخِرِهِمَا يَتَنَصَّتَانِ لِأَذْنَى
صَوْتٍ.

وَكَانَ لِرُجُودِ مَسْرُورٍ فَائِدَةٌ أُخْرَى فِي الْمَنْزِلِ لَمْ يَتَوَقَّعْهَا
حَسَنُ أَبَدًا، فَقَدْ طَارَدَ الْكَلْبُ النُّشِيطُ الْفِئْرَانُ الْمُخْتَبِئَةُ دَاخِلَ
الْمَنْزِلِ، وَهَدَمَ جُحُورَهَا بِقَوَائِمِهِ وَأَذَاهَا بِأَنْيَابِهِ، فَأُسْرِعَتْ
الْجُرْذَانُ بِالْفِرَارِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ. أَمَّا الْخَفَافِيشُ فَعَجَزَتْ قَوَائِمُ
مَسْرُورٍ أَنْ تَطْوِلَهَا فِي مَكَانِهَا الْعَالِي، وَلَكِنْ نَبَاحُهُ الْمُسْتَمِرُّ
تَجَاهَهَا وَوُثْبَاتِهِ الْعِدَائِيَّةُ نَحْوَهَا، أَقْنَعَتْ أَغْلِبَهَا بِالرَّجِيلِ عَنِ
الْمَنْزِلِ. ثُمَّ أَهْتَدَى «حَسَنُ» إِلَى حِيلَةٍ بَارِعَةٍ لِطَرْدِ الْخَفَافِيشِ
مِنْ مَنْزِلِهِ، فَأَحْرَقَ بَعْضَ الْخَشَبِ وَالْأَوْرَاقِ تَحْتَ الْأَسْقُفِ

المُعَلَّقَةِ بِهَا الْخَفَافِيشُ، فَلَمَّا أَشْتَمَتْ رَائِحَةَ الدُّخَانِ لَمْ تُطَقِّهَا،
وَأَسْرَعَتْ هَارِبَةً، وَلَمْ تَعُدْ إِلَى نَفْسِ الْمَكَانِ ثَانِيَةً.

* * *

وَذَاتَ يَوْمٍ حَلَّ عَلَى الْقَرْيَةِ رَجُلٌ غَرِيبٌ، كَانَتْ لَهُ مَلَامِيحُ
مَنْفَرَةٍ غَيْرُ مُطْمَئِنَّةٍ. فَوَجَّهَهُ كَالِحُ اللَّوْنِ وَعَيْنَاهُ تُشْبِهَانِ عَيْنِي
الصُّقْرِ، وَأَنْفُهُ طَوِيلٌ مَعْقُوفٌ كَأَنَّهُ أَنْفُ حِدَاةٍ. وَفَمُّهُ وَاسِعٌ مُخِيفُ
الشَّكْلِ كَأَنَّهُ كَهْفٌ، وَأَسْنَانُهُ صَفْرَاءُ قَبِيحَةٌ كَأَنَّهُمَا صُخُورٌ نَاتِيَةٌ
دَاخِلَ هَذَا الْكَهْفِ، أَمَّا شَارِبُهُ فَكَانَ نَاجِلًا خَفِيفًا كَأَنَّهُ ذَيْلُ كَلْبٍ
أَجْرَبَ. وَكَانَتْ لِهَذَا الْغَرِيبِ قَامَةٌ قَصِيرَةٌ، وَيُظْهِرُهُ حَدَبَةٌ صَغِيرَةٌ
أَضَافَتْ قُبْحًا وَغَرَابَةً عَلَى مَنْظَرِ صَاحِبِهَا.

وَكَانَ اسْمُ ذَلِكَ الرَّجُلِ «سَمْعَانُ»، وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ لَا
تَقْلُ عَنْهُ غَرَابَةً وَشُدُودًا فِي هَيْئَتِهَا. فَوَجَّهَهَا خَشَنُ جَافٍ مَلِيٍّ
بِالتَّجَاعِيدِ كَأَنَّهُمَا عَجُوزٌ فِي التَّسْعِينَ مِنْ عُمرِهَا، وَنَظَرَاتُهَا حَادَّةٌ
وَمُخِيفَةٌ، وَشَعْرُهَا بِلَوْنِ الرَّمَادِ الْمُحْتَرِقِ. وَأَطْرَافُ أَصَابِعِهَا مِثْلُ
مَخَالِبِ نَسْرِ شَرِيرٍ.

وكانَ اسْمُ الْمَرْأَةِ «دَلِيلَةَ» . . والعَجِيبُ أَنَّهَا كَانَتْ تَتَشَابَهُ
مَعَ زَوْجِهَا فِي طِبَاعِهِ الْمَاكِرَةِ، وَأَفْكَارِهِ الْخَبِيثَةِ، وَأَنَّ الْاِثْنَيْنِ كَانَا
يَتَفَاهَمَانِ بِنَظَرَةٍ وَاحِدَةٍ!

وَحُلَّ سَمْعَانُ وَدَلِيلَةُ عَلَى الْقَرْيَةِ ذَاتَ يَوْمٍ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ
أَحَدٌ عَنْهُمَا شَيْئاً. لَا مِنْ أَيْنَ أَتَيَا، وَلَا أَيْنَ كَانَا يَعِيشَانِ مِنْ قَبْلُ،
وَلَا مِنْ أَيْنَ حُصِّلَا عَلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ الَّذِي كَانَا يَحْتَفِظَانِ بِهِ
مَعَهُمَا.

وَبِالرَّغْمِ مِنْ مَالِ الْغَرِيبَيْنِ الْكَثِيرِ، فَقَدْ كَانَا يُنْفِقَانِ أَقْلَ
الْقَلِيلِ، كَأَنَّهُمَا سَيَمُوتَانِ فِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ، إِذَا أَنْفَقَا دِينَاراً
كَامِلاً مَرَّةً وَاحِدَةً فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.

وَسَكَنَ الْغَرِيبُ وَزَوْجَتُهُ مَسْكناً عَلَى مَشَارِفِ الْقَرْيَةِ، بِاعِهِ
لَهُمَا أَحَدُ الْفَلَاحِينَ بِشَمَنِ بَخْسٍ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمَالِ
لِلْإِنْفَاقِ عَلَى زَوْجَتِهِ الْمَرِيضَةِ، وَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مَنْ يَقْرِضُهُ مِنْ أَهْلِ
الْقَرْيَةِ أَضْطَرَّ لِبَيْعِ مَنْزِلِهِ بِشَمَنِ قَلِيلٍ، وَابْتَنَى لِنَفْسِهِ كُوخاً صَغِيراً
أَشْبَهَ بِأَعْشَاشِ الدَّجَاجِ لَا يَسْتُرُ سُكَّانَهُ عَنْ نَظَرَاتِ الْفُضُولِيِّينَ،
وَلَا يَحْمِيهِمْ مِنْ قَسْوَةِ الطَّبِيعَةِ.



وَأَعْلَنَ سَمْعَانُ وَزَوْجَتُهُ دَلِيلَهُ فِي الْقَرْيَةِ، أَنَّهُمَا عَلَى
أَسْتِعْدَادٍ لِإِقْرَاضِ سُكَّانِ الْقَرْيَةِ أَيِّ مَبْلَغٍ مِنَ الْمَالِ، ثُمَّ
يَسْتَرِدَّانِهِ فِيمَا بَعْدُ وَعَلَى مَهْلٍ، بِفَائِدَةٍ بَسِيطَةٍ.

فَقَالَ النَّاسُ: «هَذَا رَجُلٌ مُرَابٍ.. وَلَا يَصُحُّ لَنَا التَّعَامُلُ
مَعَهُ».

وَلَكِنَّ أَحَدَ الْفَلَاحِينَ أَحْتَاجَ لِبَعْضِ الْمَالِ لِتَزْوِيجِ
أَبْنَتِهِ.. وَكَانَ بَاقِيًا بَعْضُ الْوَقْتِ عَلَى تَمَامِ نَضْجِ مَحْصُولِهِ مِنَ
الْقَمْحِ وَبَيْعِهِ، فَقَالَ لِزَوْجَتِهِ: «سَأَذْهَبُ لِأَقْتَرِضَ بَعْضَ الْمَالِ
مِنْ سَمْعَانَ لِتَزْوِيجِ ابْنَتِنَا، وَعِنْدَمَا نَبِيعُ مَحْصُولَنَا سَنَرُدُّ الدِّينَ
لَهُ».

وَلَكِنَّ سَمْعَانَ إِشْتَرَطَ أَنْ يَرْهَنَ الْفَلَّاحُ لَهُ أَرْضَهُ ضَمَانًا
لِلدَّيْنِ، فَاضْطُرَّ الْفَلَّاحُ أَنْ يُوَافِقَ، وَوَضَعَ بِضَمَّتِهِ عَلَى أَوْرَاقٍ
تَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ.

وَعِنْدَمَا أَحْتَاجَ فَلَاحٌ آخَرُ لِبَعْضِ الْمَالِ ذَهَبَ إِلَى
سَمْعَانَ، وَارْتَهَنَ حَقْلَهُ، وَذَهَبَ فَلَاحٌ ثَالِثٌ وَارْتَهَنَ مَنْزِلَهُ،
وَذَهَبَ فَلَاحٌ رَابِعٌ وَارْتَهَنَ مَاشِيَّتَهُ.

وَهَكَذَا كُلَّمَا أَحْسَنَ أَحَدُ الْفَلَاحِينَ الطَّيِّبِينَ أَنَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى
بَعْضِ الْمَالِ، كَانَ يَذْهَبُ إِلَى سَمْعَانَ الَّذِي لَا يَرُدُّ أَحَدًا عَنْ
بَابِهِ، فَيَقُومُ بِإِقْرَاضِ الْمُحْتَاجِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ نَقُودٍ، وَيَجْعَلُهُ يُوقِّعُ
عَلَى أَوْراقٍ يَرْتَهِنُ بِهَا كُلَّ مَا يَمْلِكُهُ. . عَلَى أَنْ يُسَدِّدَ الْفَلَّاحُ مَا
اقْتَرَضَهُ مَعَ فَائِدَةٍ قَلِيلَةٍ، وَيَسْتَعِيدَ مُلْكِيَّةَ مَا ارْتَهَنَهُ، عِنْدَمَا يَبِيعُ
مَحْصُولَ أَرْضِهِ مِنَ الْقَمْحِ، بَعْدَ تَمَامِ نُضْجِهِ.

وَالْعَجِيبُ أَنَّهُ مِنْ قَبْلُ، وَعِنْدَمَا كَانَ أَحَدُ الْفَلَاحِينَ يَمُرُّ
بِضَائِقَةٍ، كَانَ جِيرَانُهُ وَأَهْلُ قَرْيَتِهِ يُسَاعِدُونَهُ عَلَى تَجَاوِزِهَا، أَوْ
يَتَحَمَّلُ ذَلِكَ الْفَلَّاحُ مَشَقَّةَ الضَّائِقَةِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ بَعْضُ الْمَالِ مِنْ
غَلَّةِ أَرْضِهِ. وَلَكِنَّ الْفَلَاحِينَ بَاتُوا يَسْتَسْهِلُونَ رَهْنَ مَا يَمْلِكُونَ،
لِيَحْصُلُوا عَلَى الْمَالِ مِنْ سَمْعَانَ، فَيُنْفِقُونَهُ فِي سَفَهٍ وَطَيْشٍ دُونَ
إِدْرَاكِ لِعَوَاقِبِ تَصَرُّفِهِمْ، فَيَشْتَرُونَ الْمَلَابِسَ الْجَدِيدَةَ الْغَالِيَةَ، أَوْ
يُغَيِّرُونَ اثْنَانَهُمْ بِآخَرَ جَدِيدٍ، دُونَ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلَى
ذَلِكَ.

وَدِهَشَ «حَسَنٌ» لِمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ قَرْيَتِهِ الطَّيِّبُونَ، فَقَالَ لَهُمْ:
«إِنَّكُمْ تَتَصَرَّفُونَ بِحِمَاقَةٍ، فَكَيْفَ تَرْتَهِنُونَ مَا تَمْلِكُونَهُ، ثُمَّ تُنْفِقُونَ
مَا تَحْصُلُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَالٍ فِي سَفَهٍ وَدُونَ تَبَصُّرٍ؟»

فأجابهُ أَهْلُ قَرْيَتِهِ : «عِنْدَمَا نَحْصُلُ عَلَى ثَمَنِ مَحَاصِيلِنَا .
سَنَسُدُّ مَا عَلَيْنَا وَنَسْتَرِدُّ مَا آرْتَهْنَا» .

هَزَّ «حَسَن» رَأْسَهُ فِي حُزْنٍ ، وَمَضَى مُتَأَلِّمًا لِمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ
قَرْيَتِهِ .

وَقَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ شَهْرٌ وَاحِدٌ مُنْذُ مَجِيئِ سَمْعَانَ وَزَوْجَتِهِ
دَلِيلَةً إِلَى الْقَرْيَةِ ، كَانَ كُلُّ فَلَاحِيهَا قَدْ آرْتَهْنُوا أَرْضَهُمْ لَهُ . .
وَبَدَّدُوا مَا حَصَلُوا عَلَيْهِ مِنْ مَالٍ ، وَبَاتَ كُلُّ الْفَلَاحِينَ يَنْتَظِرُونَ
تَمَامَ نَضْجِ مَحْصُولِهِمْ لِيَبِيعُوهُ وَيُسَدِّدُوا بِثَمَنِهِ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ
دُيُونٍ .

وَكَانَ «حَسَن» هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي لَمْ يَقْتَرِضْ مِنْ سَمْعَانَ ، أَوْ
يَرْتَهِنَ مَنْزِلَهُ ، وَقَالَ لِمَنْ حَاوَلُوا إِغْرَاءَهُ بِذَلِكَ : «هَذَا مَنْزِلُ أَبِي
وَأُمِّي ، وَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ أُفَرِّطَ فِيهِ ، أَوْ أُعْطِيَ لِلْآخَرِينَ حُقُوقًا
بِهِ» .

وَعِنْدَمَا نَضَجَ مَحْصُولُ الْقَمْحِ ، وَصَارَتْ سَنَابِلُهُ تَتَأَلَّقُ
تَحْتَ ضَوْءِ الشَّمْسِ كَأَنَّهَا عِيدَانُ الذَّهَبِ ، قَالَ الْفَلَاحُونَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي آيْتِهَاجٍ : «فِي الْغَدِ نَحْصُدُ مَحْصُولَنَا

وَنَبِيعُهُ . . وَنُسَدُّ مَا عَلَيْنَا مِنْ دَيْنٍ وَفَائِدَةٍ، وَنَسْتَرِدُّ مَا آرْتَهْنَاهُ مِنْ قَبْلُ لِسَمْعَانِ» .

وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ السَّابِقَةُ عَلَى الْحَصَادِ كَالِحَةَ السَّوَادِ، لَا ضَوْءَ فِيهَا وَلَا قَمَرَ فِي السَّمَاءِ . وَلِذَلِكَ لَمْ يُشَاهِدْ أَحَدُ الْفَلَاحِينَ ذَلِكَ الشَّيْخَ الْقَصِيرَ الْقَامَةَ ذَا الْحَدْبَةِ الْوَاضِحَةِ فِي ظَهْرِهِ، وَالَّذِي أَخْفَى وَجْهَهُ بِقِنَاعٍ أَسْوَدَ اللَّوْنِ، وَحَمَلَ فَوْقَ كَتِفِهِ بَرْمِيلاً كَبِيراً مَلِيئاً بِالْوَقُودِ، رَاحَ يَسْكِبُهُ هُنَا وَهُنَاكَ فَوْقَ سَنَابِلِ الْقَمْحِ الصُّفْرَاءِ التَّامَةِ النُّضْجِ . . تُسَاعِدُهُ فِي ذَلِكَ أَمْرَأَةٌ لَهَا أَصَابِعُ مِثْلُ الْمَخَالِبِ .

وَبَعْدَ أَنْ أَنْتَهَى الشَّيْخُ الْقَصِيرُ الْقَامَةَ مِنْ عَمَلِهِ، أَشْعَلَتْ زَوْجَتُهُ عَوْذَ ثِقَابٍ وَأَلْقَتْهُ فِي قَلْبِ سَنَابِلِ الْقَمْحِ النَّاضِجَةِ، فَأَمْسَكَتْ بِهَا النَّيرَانُ بِسُرْعَةٍ، وَسَاعَدَهَا الْوَقُودُ لِيَتَنَشَّرَ بِسُرْعَةٍ فِي كُلِّ الْأَنْحَاءِ، حَتَّى تَحَوَّلَتْ أَرْضُ الْقَرْيَةِ الْمَرْزُوعَةِ إِلَى كُتْلَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ اللَّهَبِ، أَحَالَتْ ظِلَامَ الْقَرْيَةِ إِلَى نَهَارٍ مُشْتَعِلٍ لَهُ صَوْتُ كَفْحِجٍ الْأَفْعَى .



وَأَبْتَسَمَ الشَّبَحُ ذُو الْحَدَبَةِ فِي ظَهْرِهِ وَآكَتَسَتْ عَيْنَاهُ بِنَظَرَةٍ
شَيْطَانِيَّةٍ، ثُمَّ أَسْرَعَ هَارِباً يَخْتَفِي بَعِيداً مَعَ زَوْجَتِهِ ذَاتِ الْوَجْهِ
الْمَغْضَنِّ.

وَتَصَاعَدَتْ صَيِّحَاتُ الْفَلَاحِينَ وَصُرَاخُهُمْ، عِنْدَمَا شَاهَدُوا
النِّيرَانَ الْمُشْتَعِلَةَ فِي حُقُولِهِمْ، وَهِيَ تُحَوِّلُ سَنَايِلَ الْقَمْحِ
الذَّهَبِيَّةَ اللَّوْنِ، إِلَى رَمَادٍ أَسْوَدَ مُتَفَحِّمٍ.

وَحَاوَلَ الْفَلَاحُونَ إطفَاءَ النِّيرَانِ بِمِلءِ الدَّلَاءِ مِنَ النَّهْرِ
وَسَكَبَهَا فَوْقَ الْحُقُولِ الْمُشْتَعِلَةِ دُونَ جَدْوَى، فَوَقَفُوا بَاكِينَ
صَارِخِينَ، يُمَزِّقُونَ مَلَابِسَهُمْ وَيَتَتَجَبَّوْنَ، وَالنِّسَاءُ تُوَلِّوْنَ وَتَضَعُ
الطِّينَ فَوْقَ رُؤُوسِهِنَّ.

وَقَبْلَ أَنْ تَمُرَّ سَاعَةٌ كَامِلَةٌ، كَانَتْ حُقُولُ الْقَمْحِ النَّاضِجِ
مِثْلَ سَنَايِلِ الذَّهَبِ، قَدْ تَحَوَّلَتْ إِلَى هَشِيمٍ مُحْتَرِقٍ أَسْوَدَ
اللُّونِ، دُونَ أَنْ يَنْجُو مِنَ النَّارِ شِبْرُ قَمْحٍ وَاحِدٍ.

دَمَعَتْ عَيْنَا «حَسَن» وَهُوَ وَاقِفٌ أَمَامَ الْحُقُولِ الْمُحْتَرِقَةِ،
وَنَبَحَ كَلْبُهُ مَسْرُورٌ فِي حُزْنٍ، عَلَى جِوْنِ جَلَسَ الْفَلَاحُونَ أَمَامَ
سَنَايِلِ الْقَمْحِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى رَمَادٍ وَهَشِيمٍ، وَهُمْ يَذْرِفُونَ
دُمُوعَهُمْ.

وَقَالَ أَحَدُ الْفَلَاحِينَ بَاكِياً: «إِنَّهَا كَارِثَةٌ، لَقَدْ ضَاعَ مَحْصُولُنَا فَمِنْ أَيْنَ سَتَعِيشُ إِلَى أَنْ نَزْرَعَ الْأَرْضَ وَنَحْصُدَهَا مَرَّةً أُخْرَى؟»

وَقَالَ فَلَّاحٌ ثَانٍ: «وَمِنْ أَيْنَ سَنَسُدُّ مَا عَلَيْنَا مِنْ دَيْنٍ لِسَمْعَانَ؟»

قَالَ فَلَّاحٌ ثَالِثٌ: «فَلْنَذْهَبْ إِلَى سَمْعَانَ وَنَرْجُوهُ أَنْ يُمَهِّلَنَا لِحِينَ مَوْعِدِ الْحَصَادِ الْقَادِمِ».

قَالَ فَلَّاحٌ رَابِعٌ: «لَيْسَ أَمَامَنَا غَيْرُ ذَلِكَ. . لَيْتَنَا مَا رَهْنَا أَمْلاكَنَا وَأَنْفَقْنَا الْمَالَ الَّذِي حَصَلْنَا عَلَيْهِ مِنْ سَمْعَانَ فِي أَشْيَاءَ تَافِهَةٍ رَخِيصَةٍ».

قَالَ «حَسَنَ»: «لِنَذْهَبْ إِلَى سَمْعَانَ وَنَطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يُؤَجِّلَ مَوْعِدَ السَّدَادِ بِضَعَةِ أَشْهُرٍ».

وَلَكِنْ سَمْعَانَ ضَحِكَ ضَحْكَةً خَبِيثَةً، عِنْدَمَا سَمِعَ مَا طَلَبَهُ «حَسَنَ» وَالْفَلَاحُونَ، وَقَالَ لَهُمْ: «لَنْ أَوْجِّلَ دَفْعَ النُّقُودِ يَوْماً وَاحِداً. . فَإِذَا أَنْ تَدْفَعُوا لِي مَا اقْتَرَضْتُمُوهُ مِنِّي، أَوْ أَخْصَلَ عَلَى أَرْضِكُمْ وَيُوتِكُمْ وَمَوَاشِيَكُمْ مُقَابِلاً لِمَالِي».

فَبَكَى الْفَلَاحُونَ، وَلَطَمَتِ النِّسَاءُ الْخُدُودَ، وَتَوَسَّلُوا
لِسَمْعَانَ أَنْ يَتَرَفَّقَ بِهِمْ، وَلَكِنَّهُ رَفَضَ ذَلِكَ. وَقَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْمَسَاءُ
كَانَتْ كُلُّ أَرْضِ الْقَرْيَةِ وَبُيُوتِهَا وَمَوَاشِيهَا قَدْ أَصْبَحَتْ مُلْكَاً
لِسَمْعَانَ، إِشْتَرَاهَا بِشَمَنِ بَخْسٍ هُوَ قِيَمَةُ دُيُونِهِ لَدَى الْفَلَاحِينَ،
وَلَمْ يَعُدْ أَصْحَابُهَا الْأَصْلِيُّونَ يَمْلِكُونَ مِنْهَا شَيْئاً.

وَفِي الْمَسَاءِ وَقَفَ «سَمْعَانُ» فِي قَلْبِ الْقَرْيَةِ وَقَالَ
لِلْفَلَاحِينَ: «مُنْذُ الْآنَ سَتَصِيرُونَ جَمِيعاً أَجْرَاءَ عِنْدِي، فَتَزْرَعُونَ
أَرْضِي وَتَحْلِبُونَ أَثْقَارِي وَفِي الْمُقَابِلِ سَوْفَ تَحْصِلُونَ عَلَى
وَجْبَةٍ طَعَامٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَوْمِ، وَمَنْ يَرْفُضُ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَنْ يُغَادِرَ
الْقَرْيَةَ فِي الْحَالِ».

فَوَافَقَ الْفَلَاحُونَ فِي حُزْنٍ، وَأَنْصَرَفُوا إِلَى الْعَرَاءِ يَبْتَئُونَ
فِيهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مُتَأَلِّمِينَ: «إِنَّا نَسْتَحِقُّ مَا جَرَى لَنَا،
فَقَدْ أَضَعْنَا أَرْضَنَا وَبُيُوتَنَا وَمَاشِيَتَنَا بِقَلَّةٍ تَبَصَّرْنَا».

وَقَالَ الْبَعْضُ الْآخَرُ: «لَقَدْ صَرْنَا أَجْرَاءَ فِي أَرْضِنَا..
وَحَتَّى الطَّعَامَ لَنْ نَشْبَعَ مِنْهُ أَبَداً».

وَقَالَتْ بَعْضُ النِّسَاءِ: «صَارَ سَمْعَانُ وَزَوْجَتُهُ يَمْتَلِكَانِ قَرْيَتَنَا بِكُلِّ مَا فِيهَا».

وَقَالَ بَعْضُهُنَّ الْآخَرُ: «كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي حَلَّ فِيهِ عَلَى الْقَرْيَةِ يَوْمًا أَسْوَدَ».

وَصَاحَ أَحَدُ الْأَطْفَالِ قَائِلًا: «لَقَدْ شَاهَدْتُ شَخْصًا فِي مَلَابِسَ سَوْدَاءَ لَا تَبِينُ مَلَامِحُهُ، وَلَهُ حَدَبَةٌ فِي ظَهْرِهِ، وَهُوَ يَسْكُبُ الْوُقُودَ فَوْقَ سَنَابِلِ الْقَمْحِ لَيْلَ أَمْسٍ مِنْ بَرْمِيلٍ يَحْمِلُهُ فَوْقَ ظَهْرِهِ، تُسَاعِدُهُ فِي ذَلِكَ عَجُوزُ شَمْطَاءَ».

وَصَاحَ طِفْلٌ آخَرُ: «لَا يُوجَدُ شَخْصٌ أَحَدَبُ فِي قَرْيَتِنَا غَيْرَ سَمْعَانَ.. أَمَّا الْعَجُوزُ الشَّمْطَاءُ فَهِيَ زَوْجَتُهُ بِكُلِّ تَأَكِيدٍ».

وَلَكِنَّ وَالِدَ الطُّفْلِ لَطَمَهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَقَالَ لَهُ: «أَصُمْتُ أَيْهَا الْأَحْمَقُ.. إِنَّا لَا نَمْلِكُ دَلِيلًا عَلَى مَا تَقُولُهُ، وَلَوْ سَمِعَكَ سَمْعَانُ لَرُبَّمَا أَمَرَ بِطَرْدِنَا مِنَ الْقَرْيَةِ فَلَا نَجِدُ حَتَّى أَرْضًا عُشْبِيَّةً نَبْنِي فَوْقَهَا، أَوْ طَعَامًا يُبْقِينَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ».

وَأَنْصَرَفَ الْفَلَاحُونَ وَزَوْجَاتُهُمْ وَأَطْفَالُهُمْ، مِنْكَسِي الرُّؤُوسِ يَفْتَرِشُونَ الْأَرْضَ وَيَلْتَحِفُونَ السَّمَاءَ.



وراقب «حسن» الفلاحين الحزانى، وقال لِكَلْبِهِ مَسْرُور غاضباً: «إِنَّ سَمْعَانَ هُوَ الَّذِي أَحْرَقَ مَحْصُولَ الْقَمْحِ، فَلَا مَصْلَحَةَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ، فَهَذَا الشَّرِيرُ قَامَ بِإِقْرَاضِ الْفَلَاحِينَ الْمَالَ وَرَهَنَ أَرْضَهُمْ وَيُوتَهُمْ وَمَاشِيَتَهُمْ، ثُمَّ قَامَ بِحَرْقِ مَحْصُولِهِمْ لِيَحْصُلَ عَلَى مَا رَهْنُهُ الْفَلَاحُونَ بِشَمْنٍ بَخْسٍ قَلِيلٍ وَيَصِيرَ مَالِكاً لِكُلِّ شَيْءٍ فِي قَرْيَتِنَا».

وَضَرَبَ الْأَرْضَ بِقَدَمِهِ فِي أَلَمٍ قَائِلاً: «وَلَكِنْ لَا دَلِيلَ لَدَيْنَا عَلَى مَا فَعَلَهُ سَمْعَانُ وَزَوْجَتُهُ.. فَمَا الْعَمَلُ الْآنَ وَقَدْ صَارَتْ قَرْيَتُنَا كُلُّهَا مُلْكَاً لِرَجُلٍ غَرِيبٍ شَرِيرٍ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا بِالْحِيلَةِ وَالْخَدِيعَةِ، وَكَيْفَ يَسْتَعِيدُ فَلَاحُونَ الطَّيِّبُونَ أَرْضَهُمْ وَيُوتَهُمْ وَمَاشِيَتَهُمْ مِنْ هَذَا الشَّرِيرِ؟»

وسار «حسن» نحو مَنْزِلِهِ حَزِيناً مُتَأَلِّماً، وَكَلْبُهُ مَسْرُورٌ يَسِيرُ خَلْفَهُ بِأُذُنَيْنِ مَنْكَسَتَيْنِ كَأَنَّهُمَا رَايَتَا حِدَادٍ.

* * *

ضَحِكَ سَمْعَانُ ضَحْكَةً خَبِيثَةً شَرِيرَةً، وَضَحِكَتْ زَوْجَتُهُ دَلِيلَةً ضَحْكَةً أَشَدَّ خُبثاً وَمُكْرًا، وَقَالَتْ لَهُ: «هَا قَدْ تَحَقَّقْتُ أَهْدَافُنَا، وَصَارَتْ الْقَرْيَةُ كُلُّهَا مُلْكَاً لَنَا بِشَمْنٍ بَخْسٍ».

قَالَ سَمْعَانُ: «هُنَاكَ مَنْزِلٌ وَحِيدٌ لَمْ نَمْتَلِكْهُ بَعْدُ لِأَنَّ صَاحِبَهُ رَفَضَ رَهْنَهُ لَنَا».

قَالَتْ دَلِيلَةُ: «هَلْ تَقْصِدُ مَنْزِلَ ذَلِكَ الصَّبِيِّ حَسَنَ، وَمَا حَاجَتُنَا إِلَيْهِ؟»

قَالَ سَمْعَانُ: «كَيْفَ تَقُولِينَ ذَلِكَ، إِنَّا بِحَاجَةٍ إِلَى الْحُصُولِ عَلَى هَذَا الْمَنْزِلِ لِكَيْ تَصِيرَ كُلُّ الْقَرْيَةِ مُلْكًا لَنَا، فَنُسَمِّيَهَا قَرْيَةَ سَمْعَانَ، وَنَأْتِيَ بِأَقَارِبِنَا وَأَصْدِقَائِنَا وَبَنِي جِنْسِنَا لِيَسْكُنُوهَا، وَنَطْرُدَ مِنْهَا هَؤُلَاءِ الْفَلَاحِينَ. كَمَا أَنَّ مَنْزِلَ ذَلِكَ الصَّبِيِّ حَسَنٌ يَتَوَسَّطُ الْقَرْيَةَ، وَسَيُضَيِّحُ عَقَبَةً إِذَا فَكَّرْنَا فِي الْقِيَامِ بِأَيِّ مَشْرُوعٍ يَتَطَلَّبُ هَذِمَ كُلِّ بُيُوتِهَا، لِذَلِكَ مِنَ الضَّرُورِيِّ حُصُولُنَا عَلَى هَذَا الْمَنْزِلِ بِأَيِّ ثَمَنِ».

قَالَتْ دَلِيلَةُ فِي خُبْتٍ: «عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَتَعْرِضَ عَلَيْهِ ضِعْفَ ثَمَنِهِ فَيُوافِقَ».

لَمَعَتْ عَيْنَا سَمْعَانَ بِالْمَكْرِ وَقَالَ: «هَذَا مَا سَأَفْعَلُهُ، فَلَا أَحَدَ تَبْقَى عَزِيمَتُهُ قَوِيَّةً أَمَامَ إِغْرَاءِ الْمَالِ».



وفوجئ «حسن» في الصباح التالي بسَمْعَان يَطْرُقُ بَابَهُ،
فَفَتَحَهُ لَهُ وَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ غَاضِبًا، وَكَشَرَ مَسْرُور عَنْ أُنْيَابِهِ، وَقَالَ
سَمْعَان «لِحَسَن»: «لَقَدْ جِئْتُ أُعْرِضُ عَلَيْكَ شِرَاءَ مَنْزِلِكَ بِثَمَنِ
كَبِيرٍ. إِنَّهُ يُسَاوِي مِائَةَ دِينَارٍ وَلَكِنِّي أُعْرِضُ عَلَيْكَ شِرَاءَهُ
بِمِائَتَيْنِ».

أَجَابَهُ «حَسَن» غَاضِبًا: «لَنْ أَبِيعَ مَنْزِلَ وَالِدِي وَلَا بِأَلْفِ
دِينَارٍ».

قَالَ سَمْعَانُ بِخُبْثٍ: «مَا رَأَيْكَ أَنْ تَبِيعَهُ لِي بِثَلَاثِمِائَةٍ
دِينَارٍ؟»
- لا.

- بِأَرْبَعِمِائَةٍ؟

- مُسْتَحِيلٌ.

- خَمْسِمِائَةٍ؟

صَاحَ «حَسَن» فِي سَمْعَانٍ غَاضِبًا وَقَالَ: «ابْتَعدْ عَنِّي أَيُّهَا
الشَّرِيرُ، فَلَنْ أَبِيعَ مَنْزِلَ أَبِي. . . فَهُوَ أَكْثَرُ قِيَمَةً عِنْدِي مِنْ كُنُوزِ
الدُّنْيَا».

قَالَ سَمْعَانُ فِي غَيْظٍ: «سَأَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِأَلْفِ دِينَارٍ.. أَوْ أَبَادِلُكَ بِهِ قَصْرًا فَاخِرًا فِي أَيِّ مَكَانٍ».

وَأَجَابَ «حَسَنُ» بِإِعْلَاقِ بَابِهِ فِي وَجْهِ سَمْعَانَ الشَّرِيرِ ذِي الْأَنْفِ الْمَعْقُوفِ، الَّذِي اسْتَدَارَ غَاظِبًا وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ، وَقَالَ لِرَؤُوسَتِهِ وَهُوَ يَكْظُمُ غَيْظَهُ: «لَقَدْ رَفَضَ هَذَا الصَّبِيُّ الْعَنِيدُ أَنْ يَبِيعَنِي مَنْزِلُهُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِ ثَمَنِهِ».

فَقَالَتْ دَلِيلَةُ مُنْذَهَشَةً: «هَذَا عَجِيبٌ.. أَيُّ سِرٍّ يَحْتَوِيهِ هَذَا الْمَنْزِلُ يَجْعَلُ هَذَا الصَّبِيَّ يَرْفُضُ أَنْ يَبِيعَهُ بِكُلِّ هَذَا الْمَالِ، أَوْ يُبَادِلَهُ بِقَصْرِ فَاخِرٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ؟»

فَكَرَّ سَمْعَانُ بِحِدَّةٍ وَقَالَ: «مَعَكَ حَقٌّ يَا رَؤُوسَتِي.. لَا بُدَّ أَنْ هَذَا الْمَنْزِلُ يَحْوِي سِرًّا هَامًّا يَجْعَلُهُ أَثْمَنَ مِنَ الْمَالِ وَالْقُصُورِ عِنْدَ هَذَا الصَّبِيِّ».

قَالَتْ دَلِيلَةُ: «مَاذَا تَقْصِدُ؟»

قَالَ سَمْعَانُ: «مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنْ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ شَيْءٌ ثَمِينٌ.. وَلِذَلِكَ يَرْفُضُ هَذَا الصَّبِيُّ بَيْعَهُ لَنَا، لِأَنَّ الشَّيْءَ الثَّمِينِ الْمَوْجُودَ



فِي الْمَنْزِلِ يُسَاوِي مَا لَا كَثِيرًا لَا حَظْرَ لَهُ، وَأَكْثَرَ مِمَّا عَرَضَتْهُ عَلَيْهِ.

لَمَعَتْ عَيْنَا دَلِيلَةَ فِي خُبْتِ وَشَرِهِ وَقَالَتْ: «هَلْ تَقْصِدُ أَنَّ الْمَنْزِلَ بِهِ كَنْزٌ مَذْفُونٌ؟»

قَالَ سَمْعَانُ: «هَذَا مُؤَكَّدٌ.. فَلِمَ إِذَا يَحْتَفِظُ هَذَا الصَّبِيُّ بِمَنْزِلِهِ وَيَرْفُضُ بَيْعَهُ، عَلَى حِينٍ أَنَّهُ يُمَكِّنُهُ بِالْمَالِ الَّذِي عَرَضَتْهُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْتَرِيَ مَنْزِلًا أَفْضَلَ مِنْهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ؟ وَالْإِجَابَةُ الصَّحِيحَةُ أَنَّ هَذَا الصَّبِيَّ يَعْرِفُ بِوُجُودِ الْكَنْزِ دَاخِلَ مَنْزِلِهِ، وَأَنَّهُ يُفَكِّرُ فِي اسْتِخْرَاجِهِ يَوْمًا مَا لِيَتَمَتَّعَ بِهِ، وَلِذَلِكَ يَرْفُضُ بَيْعَ الْمَنْزِلِ الَّذِي يَحْتَوِيهِ».

قَالَتْ دَلِيلَةُ: «إِذَنْ، أُعْرِضُ عَلَى هَذَا الصَّبِيِّ أَلْفِي دِينَارٍ أَوْ حَتَّى عَشْرَةَ آلَافٍ.. وَلَتَشْتَرِ هَذَا الْمَنْزِلَ بِأَيِّ ثَمَنٍ، فَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الْكَنْزَ الْمَوْجُودَ فِيهِ يُسَاوِي مِائَتِ آلَافٍ مِنَ الدِّينَارَاتِ أَوْ رُبَّمَا مَلِيُونًا كَامِلَةً، وَبِذَلِكَ فَإِنَّ قِيَمَةَ هَذَا الْمَنْزِلِ وَحْدَهُ تُسَاوِي أَضْعَافَ أَضْعَافٍ قِيَمَةَ الْقَرْيَةِ كُلِّهَا».

قَالَ سَمْعَانُ فِي خُبْتِ: «عَلَيْنَا أَنْ نَتَأَكَّدَ أَوَّلًا مِنْ وُجُودِ ذَلِكَ الْكَتْرِ فِي مَنْزِلِ «حَسَنَ»، قَبْلَ أَنْ نَعْرِضَ عَلَيْهِ شِرَاءَهُ بِأَيِّ ثَمَنِ، حَتَّى لَا نَخْسَرَ نَقُودَنَا».

قَالَتْ دَلِيلَةُ: «وَكَيْفَ سَتَتَأَكَّدُ مِنْ وُجُودِ الْكَتْرِ؟»

أَجَابَهَا سَمْعَانُ فِي خُبْتِ: «سَأُخْبِرُكَ».

وَفِي صَوْتٍ خَفِيفٍ شَرِيرٍ رَاحَ يُخْبِرُهَا بِخُطَّتِهِ الْخَبِيثَةِ الْمَاكِرَةِ، وَالْمَرَأَةُ ذَاتُ الْأَنْفِ الْمَعْقُوفِ تَضَحْكُ بِصَوْتٍ يُشْبِهُ نَعِيقَ الْبُومِ .

* * *

وَعِنْدَمَا أَنْتَصَفَ اللَّيْلُ تَسَلَّلَ سَمْعَانُ وَزَوْجَتُهُ مِنْ مَنْزِلِهِمَا وَهُمَا يَرْتَدِيَانِ مَلَابِيسَ سَوْدَاءَ فَظَهَرَا كَأَنَّهُمَا مِنَ الْأَشْبَاحِ . وَأَقْتَرَبَا مِنْ مَنْزِلِ «حَسَنَ»، وَقَفَزَا مِنْ إِحْدَى نَوَافِذِهِ الْمَفْتُوحَةِ إِلَى دَاخِلِهِ . وَهَمَسَ سَمْعَانُ لِرَؤُوسِهِ قَائِلًا: «لَا تُحَدِّثِي صَوْتًا، وَإِلَّا سَمِعَكَ كُلُّ ذَلِكَ الصَّبِيِّ وَهَاجَمَنَا».

فَسَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ: «وَأَيْنَ تَظُنُّ أَنَّنَا سَنَجِدُ الْكَتَرَ الْمُخَبِّأَ؟»



أجابهَا سَمْعَانُ: «لَا بُدَّ أَنَّهُ مَذْفُونٌ فِي الْقَبْرِ أَسْفَلَ
الْمَنْزِلِ، فَفِي هَذَا الْمَكَانِ تُخَبُّ الْكُنُوزُ عَادَةً».

وَأَقْتَرَبَا أَكْثَرَ مِنْ حُجْرَةِ الْقَبْرِ فَلَمْ يُصَادِفْهُمَا أَحَدٌ. وَرَاحَا
يُحْفِرَانِ وَيَنْبِشَانِ الْأَرْضَ بِأَيْدِيهِمَا، وَيُلْقِيَانِ بِالْأُتْرَبَةِ بَعِيداً.

وَفَجْأَةً صَرَخَتْ دَلِيلَةٌ صَرْخَةً خَافِتَةً فِي سَعَادَةٍ، عِنْدَمَا
لَمَسَتْ أَصَابِعُهَا قِطْعَةً نَقُودٍ مَعْدَنِيَّةً يَتَأَلَّقُ وَمِيضُهَا الذَّهَبِيُّ فِي
الظَّلَامِ، وَصَاحَتْ فِي زَوْجِهَا: «أَنْظُرْ.. إِنَّهَا قِطْعَةٌ ذَهَبِيَّةٌ
تُسَاوِي مِائَةَ دِينَارٍ عَلَى الْأَقْلَى».

فَكْتَمَ سَمْعَانُ أَنْفَاسَهُ مَبْهُوراً وَقَالَ: «لَوْ كَانَتْ هُنَاكَ عَشْرَةُ
آلَافٍ قِطْعَةٍ مَذْفُونَةٍ فِي هَذَا الْمَكَانِ، لَصِرْنَا نَمْتَلِكُ مَلِيُونَ دِينَارٍ
كَامِلَةً».

وَنَبَشَ فِي الْأَرْضِ ثَانِيَةً فَعَثَرَ عَلَى قِطْعَةٍ أُخْرَى، فَصَرَخَ
فِي سَعَادَةٍ قَائِلاً: «إِنَّ الْكَنْزَ مَذْفُونٌ هُنَا.. هَذَا لَا شَكَّ فِيهِ».

وَلَكِنْ فَجْأَةً سَمِعَ سَمْعَانُ صَوْتَ نَبَاحٍ مُسْرُورٍ، فَقَالَ
لِزَوْجَتِهِ فِي خَوْفٍ: «دَعِينَا نَغَادِرُ الْمَكَانَ بِسُرْعَةٍ قَبْلَ أَنْ يَكْتَشِفَ
الصَّبِيُّ وَكَلْبُهُ وَجُودَنَا».

فَسَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ: «وَالْكَنْزُ.. هَلْ سَتَرُكُهُ؟»

أَجَابَهَا سَمْعَانُ: «سَنَعُوذُ فِي الصَّبَاحِ لِنَشْتَرِيَ الْمَنْزِلَ بِأَيِّ ثَمَنِ، وَبَعْدَهَا نَبْحَثُ عَنِ الْكَنْزِ عَلَى مَهْلِنَا وَنَسْتَخْرِجُهُ بِأَكْمَلِهِ».

وَأَسْرَعَا يُغَادِرَانِ الْمَنْزِلَ مُتَسَلِّلَيْنِ كَالْأَشْبَاحِ بَعْدَ أَنْ أَعَادَا رَدَمَ الْأَرْضِ الَّتِي حَفَرَاهَا.

* * *

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ زَارَ سَمْعَانُ وَزَوْجَتُهُ «حَسَنَ» فِي الصَّبَاحِ، وَقَالَا لَهُ: «إِنَّا مُسْتَعِدَّانِ أَنْ نَشْتَرِيَ مَنْزِلَكَ بِأَيِّ ثَمَنِ تَطْلُبُهُ، وَلَوْ كَانَ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ».

فَتَعَجَّبَ «حَسَنُ» وَسَأَلَهُمَا: «هَذَا مَبْلَغُ ضَحْمٍ جَدًّا وَمَنْزِلِي لَا يُسَاوِي شَيْئًا.. فَلِمَاذَا تَعْرِضَانِ شِرَاءَهُ بِهَذَا الْمَبْلَغِ الْكَبِيرِ؟»

فَأَجَابَهُ سَمْعَانُ: «هَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَخْصُنَا.. فَمَا رَأْيُكَ؟»

فَكَّرَ «حَسَنُ» لَحِظَةً وَقَالَ: «إِنِّي مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَبِيعَكُمَا الْمَنْزِلَ بِثَمَنِ خَاصٍّ».

سَأَلَتْهُ دَلِيلَةً: «وَمَا هُوَ هَذَا الثَّمَنُ؟»

أَجَابَهَا «حَسَنُ»: «أَنْ تُعِيدَا لِفِلَاحِي الْقَرْيَةِ كُلِّ مَا
أَسْتَوَلَيْتُمَا عَلَيْهِ مِنْهُمْ، بُيُوتَهُمْ وَأَرْضَهُمْ وَمَاشِيَتَهُمْ، وَأَيْضاً مِائَةَ
دِينَارٍ فَوْقَهَا».

فَتَرَامَقَ سَمْعَانُ وَزَوْجَتَهُ لَحِظَةً فِي قَلْقٍ وَتَفْكِيرٍ، وَعِنْدَمَا
تَذَكَّرَا الْكَثْرَ الضَّخْمَ صَاحَا فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ: «مُوَافِقَان».

قَالَ «حَسَنُ»: «إِذَنْ فَلْنَذْهَبْ لِإِعَادَةِ تَسْجِيلِ أَمْلاكِ
الْفِلَاحِينَ بِأَسْمَائِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى، وَأُسْجِلْ لَكُما مَنَزْلِي بِأَسْمِكُما».

وَعَادَرَ الثَّلَاثَةُ الْمَكَانَ لِتَحْرِيرِ عُقُودِ الْمَلِكِيَةِ الْجَدِيدَةِ،
وَالْكَلْبُ مَسْرُورٌ يَرْمُقُ سَمْعَانَ الشَّرِيرَ وَزَوْجَتَهُ غَاضِباً. وَقَبْلَ أَنْ
يَنْتَصِفَ النَّهَارُ كَانَ الْفِلَاحُونَ الطَّيِّبُونَ قَدْ اسْتَعَادُوا أَمْلاكَهُمْ،
وَهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ مَا حَدَثَ، وَلَا يَذَرُونَ سِرَّهُ.

وَفَرَكَ سَمْعَانُ يَدَيْهِ سُروراً وَقَالَ «لِحَسَنُ»: «وَالآنَ عَلَيْكَ
أَنْ تُسَلِّمَنَا مَنَزْلَكَ بَعْدَ أَنْ صَارَ مُلْكَنَا. . وَهَآ هِيَ الْمِائَةُ دِينَارٍ
الْمُتَبَقِّيَةُ لَكَ».

فَأَخَذَ «حَسَنُ» الْمِائَةَ دِينَارٍ وَضَحِكَ قَائِلاً: «لَقَدْ صَارَ
الْمَنَزْلُ مُلْكاً لَكُما. . فَأَفْعَلَا بِهِ مَا تَشَاءَانِ».

فَهَمَسَتْ دَلِيلَةً لِرِزْوَجِهَا فِي اسْتِغْرَابٍ قَائِلَةً: «لِمَاذَا
يَضْحَكُ هَذَا الصَّبِيُّ بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ؟»

فَأَجَابَهَا هَامِسًا: «إِنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ خَدَعَنَا بِهَذِهِ الصَّفَقَةِ، دُونَ
أَنْ يَذَرِي بِأَمْرِ الْكَثْرِ الْمَخْبُوءِ فِي مَنْزِلِهِ، وَعِنْدَمَا سَيَعْرِفُ الْحَقِيقَةَ
فِيَمَا بَعْدُ، فَرُبَّمَا يَمُوتُ كَمَدًا وَقَهْرًا.

وَأَسْرَعَ الاثْنَانِ إِلَى مَنْزِلِ «حَسَنَ»، وَأَنْدَفَعَا إِلَى الْقَبْرِ مَرَّةً
أُخْرَى، وَرَاحَا يَحْفِرَانِ بِهِ وَيُهِيلَانِ التُّرَابَ خَارِجًا بِوَاسِطَةِ مَجْرَفَةٍ
كَبِيرَةٍ.

وَأَسْتَمَرَّا فِي الْحَفْرِ سَاعَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ حَتَّى صَارَتِ الْحُفْرَةُ
بِعُمُقِ مِثْرَيْنِ، فَوَقَفَ سَمْعَانُ وَهُوَ يَلْهَثُ وَقَالَ لِرِزْوَجَتِهِ مُتَعَجِّبًا:
«أَيْنَ ذَهَبَ الْكَثْرُ.. وَأَيْنَ أَخْتَفَتِ الدِّينَارَاتُ الذَّهَبِيَّةُ الَّتِي عَثَرْنَا
عَلَيْهَا أَمْسَ فِي هَذَا الْمَكَانِ؟»

فَأَجَابَتْهُ فِي حَيْرَةٍ وَدَهْشَةٍ: «لَا أَذْرِي.. لَعَلَّهَا فِي عُمُقِ
أَكْبَرَ، فَلْنُوَصِلِ الْحَفْرَ».

وَأَنْدَفَعَ الاثْنَانِ يُوَاصِلَانِ الْحَفْرَ إِلَى عُمُقِ عِدَّةِ أَمْتَارٍ، حَتَّى
وَصَلَا إِلَى الْمِيَاهِ الْجَوْفِيَّةِ تَحْتَ الْمَنْزِلِ، دُونَ أَنْ يَعُثُرَا عَلَى

شَيْءٍ فَأَنْطَلَقَا يَحْفِرَانِ أَرْضِيَّةَ الْحُجْرَاتِ وَيُهَيِّلَانِ ثُرَابَهَا خَارِجاً،
دُونَ جَدَوَى.

فَصَرَخَ سَمْعَانُ فِي غَضَبٍ: «إِنَّ هَذَا الْمَنْزِلَ لَا يَحْتَوِي
عَلَى أَيِّ كَنْزٍ».

وَصَرَخَتْ زَوْجَتُهُ: «لَقَدْ خَدَعْنَا هَذَا الصَّبِيَّ وَأَسْتَعَادَ مِنَّا
كُلَّ مَا حَصَلْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْفَلَاحِينَ، مُقَابِلَ مَنْزِلٍ لَا يَحْتَوِي عَلَى
أَيِّ كَنْزٍ، فَلْنَسْرِعْ إِلَيْهِ».

وَأَنْدَفَعَ الْاِثْنَانِ يَجْرِيَانِ كَالْمَجَانِينِ يَبْحَثَانِ عَنْ «حَسَنٍ»
وَهُمَا يَصْرُخَانِ وَيَلْطِمَانِ وَجْهَيْهِمَا.



وَأَخِيراً عَثَرَ سَمْعَانُ وَزَوْجَتُهُ عَلَى «حَسَنٍ» فِي بَيْتِ أَحَدِ
الْفَلَاحِينَ، وَقَدْ تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ فَلَاحِي الْقَرْيَةِ وَهُمْ يَضْحَكُونَ فِي
سَعَادَةٍ.

وصاحَ سَمْعَانُ فِي «حَسَنٍ» غَاضِباً: «لَقَدْ خَدَعْنَا أَيُّهَا
الصَّبِيُّ وَبِعْتْنَا بَيْتاً لَا يُوجَدُ بِهِ أَيُّ كَنْزٍ وَهَذَا غِشٌّ وَخِدَاعٌ».

فَقَالَ «حَسَن» فِي مَكْرٍ: «وَهَلْ أَخْبَرْتُكُمَا بِوُجُودِ كَنْزٍ فِي بَيْتِي عِنْدَمَا بَعَثَهُ لَكُمَا فَعَشَيْتُمَا؟»

قَالَتْ دَلِيلَةُ: «وَلَكِنْ تِلْكَ الدِّينَارَاتُ الذَّهَبِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ فِي حُجْرَةِ الْقَبْرِ، مَنْ وَضَعَهَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ؟»

ضَحِكَ «حَسَن» وَقَالَ: «إِنِّي أَنَا الَّذِي وَضَعْتُهَا هُنَاكَ، بَعْدَ أَنْ أَسْتَدْنْتُهَا مِنْ صَاحِبِ الْمَتَجَرِّ الَّذِي أَعْمَلُ فِيهِ، وَأَعَدْتُهَا إِلَيْهِ هَذَا الصُّبَاحَ.»

قَالَ سَمْعَانُ فِي حَيْرَةٍ: «إِنِّي لَا أَفْهَمُ شَيْئًا.»

أَجَابَهُ «حَسَنُ»: «سَأُشْرِحُ لَكُمَا مَا حَدَثَ، فَبَعْدَ أَنْ خَدَعْتُمَا كُلَّ سُكَّانِ الْقَرْيَةِ وَأَغْرَيْتُمَاهُم بِرَهْنِ أَرْضِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ وَمَاشِيَتِهِمْ، ثُمَّ قُمْتُمَا بِحَرْقِ مَحْصُولِهِمْ لِتَسْتَوْلِيَا عَلَى كُلِّ مَا رَهَنَهُ الْفَلَاحُونَ لَدَيْكُمَا، كَانَ لَا بُدَّ أَنْ أَقُومَ بِحِيلَةٍ ذَكِيَّةٍ لِأَسْتَعِيدَ كُلَّ مَا أَخَذْتُمَاهُ مِنَ الْفَلَاحِينَ بِالْخَدِيعَةِ، وَعِنْدَمَا رَأَيْتُ إِضْرَارَكُمَا عَلَى شِرَاءِ مَنْزِلِي بِأَيِّ ثَمَنِ أَذْرَكْتُ أَنَّكُمَا تَظُنَّانِ أَنَّ بِهِ كَنْزًا، وَأَنَّكُمَا سَتَاتِيَانِ بَحْثًا عَنْهُ لِلتَّكَادُّ قَبْلَ أَنْ تَعْرِضَا شِرَاءَهُ بِأَيِّ ثَمَنِ، وَلِذَلِكَ اقْتَرَضْتُ الدِّينَارَيْنِ الذَّهَبِيَّيْنِ وَوَضَعْتُهُمَا فِي أَرْضِيَةِ الْقَبْرِ، وَأَنَا

وَإِثْقُ أَنْكُمَا سَتَبَحَثَانِ عَنِ الْكَثْرِ فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَهُوَ مَا حَدَّثَ
 بِالْفِعْلِ، فَظَنَنْتُمَا أَنَّ الْمَكَانَ بِهِ كَثْرُ مَخْبُوءٍ يُسَاوِي مِثَاتِ الْأَلْفِ
 مِنَ الدِّينَارَاتِ، ثُمَّ جَعَلْتُ كُلِّي يَنْبَحُ بَعْدَ أَنْ أَكْتَشَفْتُمَا وَجُودَ
 قِطْعَتَيِ النُّقُودِ الذَّهَبِيَّتَيْنِ لِتُسْرِعَا بِالْفَرَارِ قَبْلَ أَنْ تَكْتَشِفَا أَنَّ
 الْمَكَانَ لَا يُوجَدُ بِهِ قِطْعُ ذَهَبِيَّةٍ أُخْرَى. وَعِنْدَمَا جِئْتُمَا فِي
 الصَّبَاحِ تَعْرِضَانِ شِرَاءَ مَنْزِلِي بِأَيِّ ثَمَنِ تَظَاهَرْتُ بِاللَّهْشَةِ، ثُمَّ
 كَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيَّ إِقْنَاعُكُمَا بِإِعَادَةِ بُيُوتِ الْفَلَاحِينَ وَمَاشِيَتِهِمْ
 وَأَرْضِهِمْ إِلَيْهِمْ، مُقَابِلَ أَنْ أُعْطِيَكُمَا مَنْزِلِي، وَأَخَذَ فَوْقَهُ مِائَةَ
 دِينَارٍ.

صَرَخَ سَمْعَانُ فِي غَضَبٍ هَائِلٍ وَرَاحَ يَتَلَوَّى عَلَى الْأَرْضِ
 عِنْدَمَا أَدْرَكَ الْخِدْعَةَ الَّتِي اسْتَرَدَّ بِهَا «حَسَنُ» بُيُوتَ الْفَلَاحِينَ
 وَأَرْضَهُمْ وَمَاشِيَتَهُمْ، وَلَطَمَتْ زَوْجَتُهُ وَجْهَهَا، فَقَالَ لَهُمَا
 «حَسَنُ»: «لَنْ يُفِيدَ مَا تَفْعَلَانِهِ فِي شَيْءٍ... إِنَّ مَا حَصَلْتُمَا عَلَيْهِ
 بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ فَقَدْ تَمَاهُ بِنَفْسِ الْأَسْلُوبِ، وَالْآنَ لَا أَظُنُّ أَنْكُمَا
 بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْزِلِي ثَانِيَةً، وَهَا أَنْذَا أَعْرِضُ عَلَيْكُمَا أَنْ تَبِيعَاهُ لِي
 بِالمِائَةِ دِينَارٍ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنْكُمَا».



قَالَ سَمْعَانُ: «إِنَّهَا أَوَّلُ مَرَّةٍ يَخْدَعُنَا فِيهَا إِنْسَانٌ بَعْدَ أَنْ
ظَلَلْنَا نَخْدَعُ النَّاسَ كُلَّهُمْ طَوَالَ عُمْرِنَا. وَلَنْ نَبْقَى فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ
دَقِيقَةً وَاحِدَةً».

وَأَخَذَ سَمْعَانُ الشَّرِيرُ الْمَائَةَ دِينَارٍ وَأَعَادَ تَسْجِيلَ مَنْزِلِ
حَسَنَ بِاسْمِهِ، وَرَحَلَ مَعَ زَوْجَتِهِ عَنِ الْقَرْيَةِ، وَالْكَلْبُ مَشْرُورٌ
يُطَارِدُهُمَا وَيَنْشِبُ مَخَالِبَهُ فِي سَيَقَانِهِمَا، وَهُمَا يَجْرِيَانِ وَيَصْرُخَانِ
مُسْتَنْجِدَيْنِ.

وَأَعَادَ الْفَلَاحُونَ رَدَمَ الْحُفْرِ الَّتِي صَنَعَهَا سَمْعَانُ وَزَوْجَتُهُ
فِي مَنْزِلِ «حَسَنَ»، وَسَاعَدُوهُ فِي إِصْلَاحِهِ، حَتَّى بَدَأَ كَأَنَّهُ مَنْزِلُ
جَدِيدٍ جَمِيلٍ، ثُمَّ قَالُوا «لِحَسَنَ» شَاكِرِينَ: «لَقَدْ عَلَّمْتَنَا دَرْسًا
غَالِيًا، بَأَنْ نَتَمَسَّكَ بِأَرْضِنَا وَبُيُوتِنَا وَأَمْلاكِنَا، وَلَا نُفَرِّطَ فِيهَا
لِلْغُرَبَاءِ بِالْبَيْعِ أَوْ الرِّهْنِ، فَأَرْضُنَا وَبُيُوتُنَا هِيَ حَيَاتُنَا، إِنْ فَقَدْنَاهَا
فَقَدْنَا أَرْوَاحَنَا».

وَقَالَ آخَرُونَ: «وَتَعَلَّمْنَا أَيْضًا أَنْ نَتَكَاتَفَ جَمِيعًا وَقَتَ
الشُّدَّةِ، وَمَنْ كَانَ مِنَّا فِي عَوْرِ سَانِدْنَاهُ، حَتَّى لَا يُضْطَرَّ لَأَنْ
يَسْتَدِينَ فَيَفْقِدُ مَا كَانَ مَالِكًا لَهُ».

وعَادَ «حَسَن» إِلَى بَيْتِهِ الَّذِي رَجَعَ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَصَارَ
النَّاسُ لَا يَرَوْنَ فِي بَيْتِ «حَسَن» مَكَاناً مُظْلِماً مُقْفِراً يُسْتَحْسَنُ
هَذْمُهُ، بَلْ صَارُوا يَرَوْنَهُ أَجْمَلَ بُيُوتِ الْقَرْيَةِ وَأَحْسَنَهَا، فَلَوْلَا مَا
عَادَتْ إِلَيْهِمْ بُيُوتُهُمْ جَمِيعاً. وَتَضَاعَفَ حُبُّ سُكَّانِ الْقَرْيَةِ لِبُيُوتِهِمْ
وَأَرْضِهِمْ، وَلَمْ يُفَرِّطُوا فِيهَا مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ ذَلِكَ، مَهْمَا كَانَ
الثَّمَنُ غَالِياً.



كنز الشاطر حسن

1281 3446

أسئلة:

١ - هل تذر حسن من حيله وبقي بشكل على أهل قريته،

أم لا؟

٢ - لماذا تعلّق حسن بمنزله؟

٣ - ما العرض الذي قدّمه سمعان ودليّة لمساعدة الفلاحين؟

٤ - متى كان ينوي الفلاحون سداد ديونهم؟

٥ - ماذا حلّ بالمحصول ومن المسبب؟

٦ - إلّا أنّ تحوّلت حياة الفلاحين بعد استيلاء سمعان على

أراضيهم؟

٧ - هل انطلت حيلة حسن على سمعان وزوجته؟

٨ - اشرح العبرة أو الدرس الذي تعلّمه الفلاحون.

اشرح الكلمات التالية:

نكس رأسه - يلتحف السماء - إقراض - كمداً.

إعراب:

- لكنّ حسناً ظلّ متمسكاً بمنزله.

- ولتشتري هذا المنزل بأيّ ثمن.

كَزَّ الشَّاطِرِ حَسَنَ

● كان حسن صبيًّا يتيماً، ليس له من أصدقاءٍ غير كلبٍ وفيَّ يدعى مسرور.. وعاش الاثنان في المنزل القديم المتهدَّم الَّذِي ورثَهُ حسن عن أبويه..

وحلَّ في القرية غريبٌ وزوجته الماكرة، واستطاع الاثنان أن يمتلكا كلَّ منازل القرية وأرضها وبيوتها بالخدعة والمكر والغش..

وفكَّر حسن، الَّذي كان أهلُ قريته يدعونه بالشَّاطِرِ حسن، في حيلةٍ ذكيَّةٍ يستعيد بها ما استولى عليه الغريبان وإعادته إلى الفلاحين.

فماذا كانت حيلة الشَّاطِرِ حسن؟ وماذا كان سرُّ الكنز الَّذي عثرَ عليه الغريبان في منزله؟